أسرار البحث العلمي الناجح.

الطالبـــة: مازية حاج علي
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر– بسكرة

محور المداخلة: **الإخراج الجيد للبحث.**

إن الأساس الأول في نجاح البحث العلمي هو مبادئ وسلوك وقدرات الباحث التي تقام قياسا على طلب العلم ومعرفة الحقائق وكشف أسرارها؛ ولأجل إعداد أبحاث علمية في المستوى الجيد والمطلوب يجب تخطيطها بعناية وبتطبيق المفاهيم والإجراءات التي تعلمها الباحث خلال مشروع البحث، وعليه تحتاج كتابة أي بحث علمي توفر مهارات عالية لإخراجه في صورة واضحة وفائقة الجودة، وهذه الأدوات والوسائل تساعد الباحث وتعينه على تكملة بحثه بكفاءة وفعالية متقنة.

فماذا نقصد بالبحوث العلمية؟ وما هي الخطوات الهامة والمراحل الأساسية في البحث العلمي؟ وكيف يتأتى للباحث إنجازه بطريقة ناجحة؟

في مفهوم البحث العلمي:

يقصد بالبحوث العلمية« استجلاء الحقائق والتحقق من الافتراضات، والتوصل إلى النتائج والاستنتاجات، وذلك أن البحث جهد مضن، وتقصي في جوهر الأشياء قصد الظفر بحلول للمشكلات...»[1]، ومن ثمة فالبحث العلمي أساسا هو« عرض مفصل أو دراسة متعمقة تمثل كشفا لحقيقة جديدة أو التأكيد على حقيقة قديمة سبق بحثها، وإضافة شيء جديد لها أو حل لمشكلة كان قد تعهد بها شخص باحث بتقصيها وكشفها وحلها»[2].

ويعد البحث العلمي« وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق، الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح المعلومات الموجودة فعلا، على أن يتبع هذا الفحص والاستعلام الدقيق خطوات المنهج

العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة وجمع البيانات والمعلومات الواردة في العرض بحجج وأدلة وبراهين ومصادر كافية»[3]، لأنه الطريقة الوحيدة لتقصي المعرفة والحقائق العلمية والكشف عن آخر تطورات الساحة العالمية.

يعنى البحث العلمي ويهتم بعملية« جمع وتسجيل بيانات ومعلومات وحقائق عن مشكلة معينة، لتحديد حلول بديلة لها، واختيار الحل الأنسب في ظل الظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بالحالة قيد البحث»[4]، لذلك يجب أن تكون أول خطوة يسير عليها الباحث في العمل والإعداد للبحث العلمي صحيحة وسليمة.

خبايا انجاز البحث العلمي ومقوماته الأساسية:

تشكل البحوث العلمية الجانب الأعظم في المجالات العلمية والأكاديمية، لأنها تترجم قدرة الباحث العلمية، وتظهر خلفيته انطلاقا من تصوره العام لموضوع البحث، ولكي يكلل البحث العلمي ويتسم بالنجاح والتوفيق، على الطالب الباحث مراعاة بعض الخطوات الأساسية التي ستأخذ به لإنجاز وتتمة بحثه بكل دقة ودراية، وتوصله إلى بر الأمان.

ومن أهم المقومات والأسرار الداعية لانجاز البحث العلمي نذكر:

***الاتصال اليومي بموضوع الدراسة:**

وعدم الانقطاع عن البحث مهما كانت الظروف صحية، مالية، اجتماعية...، وعندما يتوجه إليه الباحث فإنه يكون بكامل لياقته الصحية والنفسية والبدنية، ولا يربط نفسه بعلاقات كثيرة، كما ولا يبتعد عن المجتمع، فسوف ينتابه شيء من عدم الراحة، وما عليه إلا تنظيم وقت نشاطه والعناية بلياقته البدنية وحسن مظهره العام[5]، فما عليه إلا أن يحافظ على رغبته في إجراء الدراسة، بحيث تسيطر المشكلة التي يدرسها على تفكيره حتى خارج أوقات العمل الرسمية.

وعلى الباحث كذلك استغلال الفترات المريحة لمتابعة ومزاولة البحث؛ فيخصص لنفسه المكان المناسب للتعود عليه في الدراسة، ويعين الأوقات ونوع الكتاب الذي يريد تكوين خلاصة عنه، وأن لا يقرأ كل النصوص والمباحث بشكل تفصيلي، بل يأخذ أفكاره من الموضوعات المهمة بتركيز، ولا يعتقد أن الساعات التي قضاها ذهبت سدى، لأن ذلك سوف يقودك إلى اليأس[6].

*** موافقة المشرف في الآراء الشكلية والمنهجية:**

بصفة خاصة ومضمون البحث عامة، وعدم الإصرار عليه أو التضاد معه في أي نقطة من البحث،« والعلاقة بين المشرف والطالب لابد أن تكون علاقة أبوية، فيأخذ المشرف بيد الطالب إلى بر الأمان ويحثه على السير في بحثه ويبين له نقاط الضعف ويشير إليه باتجاه الصواب دون تعسف أو إهدار لشخصيته وكرامته أو إشعاره بقلة حيلته أو تسفيه آرائه»[7] بل سيخصه بالعناية والاهتمام.

كما أنه« لابد للطالب أن يكون على اتصال دائم بأستاذه المشرف، وكلما انتهى من إعداد فصل أو باب من فصول بحثه يراجعه مع أستاذه، لينال موافقته على ذلك ويستمع إلى توجيهاته ويقف على التعديلات التي يقترحها أستاذه، ويتابعها بكل جدية وتقدير»[8] لأن الأستاذ المشرف يحب الانجاز ويرتاح للطالب الذي ينجز بحثه بكفاءة وجدية، ولا يميل للطالب الذي يكثر الكلام والتفلسف دون فائدة.

*** استعمال طريقة البطاقة أو الجزازة في عملية القراءة:**

لأنها تولد تصورات جديدة وتوسع الفتوحات المعرفية والعلمية، حيث إن« القراءة الواعية المتأنية وجمع المعلومات هما الأساس في إعداد الباحث للعمل المكلف به، ولتجنب الازدواج في العمل، ولتوفير الجهد والوقت الذي كان على الباحث بذله للحصول على المعلومات التي سبق لغيره الحصول عليها لفتح آفاق جديدة للبحث، وعلى الباحث أن يقرأ ليس فقط في موضوع تخصصه بل وفي مواضيع أخرى متشعبة، فاتساع المعرفة يؤدي إلى سعة الأفق وتنوع الأفكار وتجددها وخلق الابتكار»[9]، وبالتالي البطاقات تسهم في استئناف البحث بالدرجة نفسها المقبولة والمريحة معا للباحث.

*** العناية بتسجيل الومضات والأفكار الخاطفة:**

تنتاب الباحث مجموعة من التخمينات المتشابكة والمختلفة عما يحتمل حدوثه في البحث، وهي« عبارة عن ومضات من الفكر تمر بذهن الباحث وتساعده على ترتيب الحقائق في تسلسل منطقي، ويحدث ذلك خلال وضع الأفكار المتشابكة في نظام ذي معنى أو في لحظات غير متوقعة، وفي أثناء الانشغال بأشياء أخرى، وقد تعطي هذه الأفكار الزئبقية مفاتيح مهمة لحل المشكلات، لذلك يجب تسجيلها فورا فمن السهل أن تفلت من الذاكرة إلى الأبد»[10].

وهذه التصورات تزوده بتوجيهات جديدة لملاحظة المشكلة التي يتصدى لها البحث، فإذا طرأت فكرة جديدة في ذهن الباحث يجب عليه تثبيتها وتقييدها في الحال وبالتفصيل على دفتره أو يضعها في قصاصات ويحتفظ بها، فقد يحتاج إليها مستقبلا خاصة أن هذه الأفكار غالبا ما تختفي بالسرعة نفسها التي تطرأ فيها على الذهن.

*** اعتماد الكتب الجديدة وحديثة الإصدار المتصلة بالموضوع:**

وبعد القراءة الواسعة والمستفيضة في الموضوع وحوله، يولي الدارس جل تركيزه على معرفة ثم اختيار مصادر البحث ومراجعه الأساسية، التي تسهم بشكل فعال في انجاز البحث« وعلى الباحث أن لا يتخلص من المواد العلمية الزائدة التي جمعها، بل عليه الاحتفاظ بها، علما أنها تفيده في ثقافته العامة وتوسيع مداركه وتبقى هذه المادة ذخرا مختزنا يستفيد منها في أبحاثه المقبلة»[11]، وعندها يقوم بعملية فرز وتصنيف لأولويات البحث من المراجع الأساسية، فيأخذ ما يثري البحث ويترك الباقي جانبا حتى لا تختلط عليه الأمور.

واعتماد الكتب الجديدة في موضوع البحث أمر ضروري في البحوث العلمية، التي تشترط« أن تكون مادة المصادر العلمية حديثة قدر الإمكان خاصة في المجالات العلمية سريعة التطور، والتأكد من سنة النشر وتاريخ طبع المصدر مع تفضيل الطبعة الأحدث خاصة في الموضوعات المعاصرة وفي هذا المجال تحتل الدوريات المادة العلمية الأحدث دائما»[12]، لأن المراجع الحديثة غالبا ما تحمل حقائق واكتشافات جديدة ومعرفة مغايرة لما سبقها من الدراسات، والتي بطبيعة الحال لها دور هام وفعال لا يمكن إنكاره التغاضي عنه.

*** الحذر من الانسياق وراء تعديل الخطة:**

خطة البحث يجب أن تكون ملمة بالموضوع من كل جوانبه وأبعاده المختلفة، « وبعد أن يستقر الباحث على موضوع بحثه، ويتقدم في قراءاته يضع الخطة التي سيسير عليها لتنفيذ بحثه، ومن الطبيعي فإن خطة البحث وطرق تنفيذها تختلف باختلاف البحث والظروف المحيطة به، وبالنسبة لطلبة الدراسات العليا فإن الأستاذ المشرف يشترك مع الطالب في وضع خطة البحث، لتكون ملائمة ومستوفية لموضوع البحث»[13]، وأن لا ينشغل الباحث وراء أوهام سطحية في مقابل أمور مركزية هامة في البحث العلمي.

ومن المعلوم أن مخطط البحث تفرضه مصادر ومراجع البحث الأساسية المختصة في الموضوع، وتبعا لهذا الأمر يكون تعديل الخطة بالزيادة أو الإنقاص أو التغيير الكلي تلقائيا بشكل بسيط ومنطقي،« والخطة خطتان: الأولى مختصرة، تكون الهيكل العام للبحث في صورته العامة. أما الثانية: فهي الخطة المفصلة التي تعتمد في البحث وتتضمن الجزئيات والتفاصيل كلها، ولا تغادر كبيرة ولا صغيرة، وتكون دليل الباحث التي ترسم خطة بحثه»[14]، ويشرع الباحث في انجاز خطة بحثه انطلاقا من القراءات المتعددة، التي توسع صورة الموضوع في ذهنه ليحكم زمام بحثه، والحذر كل الحذر من انسياقات تعديل الخطة والانشغال بالقضايا الهامشية، لأنها هواجس لا أساس لها من الصحة تضيع وقت الطالب وتجعله ينشغل بتعديل الخطة أكثر من الانجاز والتقدم في مراحل البحث.

*** الابتعاد عن الاختلافات المنهجية والعلمية الحادة:**

وبعد بناء خطة تصويرية يعيد الطالب بناء موقفه العلمي الخاص عن طريق البحث عن حقائق تتلاءم مع ذلك الإطار أو التصور الذي وضعه لبحثه العلمي،« ويقدم للفكرة تقديما مناسبا وموجزا، ويربط بين الأفكار ربطا محكما، ويعلق عليها إن كانت بحاجة إلى تعليق، ويبدي رأيه إن كان موضوعه بحاجة إلى إبداء رأي أو مناقشة، ولابد للباحث أن تظهر شخصيته في البحث على أن لا تطغى النزعة الشخصية على بقية الآراء وأفكار الآخرين، بل يناقش الآراء بهدوء وثقة ويرجح المناسب منها بكل تواضع واحترام لآراء السابقين»[15].

الطالب الناجح مطالب بأن يتمتع بالانفتاح الفكري، لا أن ينغلق ويتقوقع داخل أفكاره وتصوراته، فلا يعتقد أن كل شيء ثابت خاصة في مجال العلوم الإنسانية، إذ« يتعين على الباحث الحرص على التمسك بالروح العلمية والتطلع دائما إلى معرفة الحقيقة فقط، والابتعاد قدر الإمكان عن التزمت والتشبث بالرؤية الأحادية المتعلقة بالنتائج التي توصل إليها من خلال دراسته للمشكلة، ويجب أن يكون ذهن الباحث منفتحا على كل تغيير في النتائج المستخلصة»[16].

يحاول الباحث الالتزام بمنهجية واحدة منظمة متواصلة منذ بداية البحث إلى نهايته، حتى يكون بحثه متناسقا ومترابطا ومفهوما لدى المطلعين عليه من الباحثين سواء الأستاذ المشرف أو لجنة المناقشة أو القراء الدارسين في الميدان نفسه. كما عليه أن لا

يلتفت إلى القضايا ذات وجهات النظر المتعددة والمتضاربة في بعض الأحيان، بل الأخذ بالرأي الراجح بينها والاعتداد به كونه يخدم موضوع البحث، ولا عيب أن يبدي الباحث رأيه في قضايا وأطروحات الدراسة العلمية التي يقوم بها.

*** مراعاة أخلاقيات البحث العلمي في التحرير:**

التحرير أصعب خطوة في البحث، و« هذه المرحلة تعتبر من أهم المراحل في إعداد البحث لأن عملية كتابة البحث هي التي تظهر شخصية الباحث وقدرته على استيعاب الأفكار العلمية وتلخيصها والربط بينها وتظهر مقدار الآراء التي يبديها لمختلف المشاكل يتعرض لها في بحثه»[17]، والقلم إذا بدأ يكتب فإنه لا يتوقف، وتنساب الكتابة فتحرك معها الانفعالات والأفكار والتصورات الذهنية.

يتوخى الباحث خلال عملية كتابة البحث بصورته النهائية الأخلاقيات العلمية في توثيق المعلومات، والتي من بينها« ضرورة التمثل بالأمانة المطلقة في نقل آراء الأخريين والاقتباس منهم والإشارة إلى مواضع الاقتباس، وعدم تسفيه آرائهم والاعتداد برأيه، فقد تكون مثل هذه الأمور ما تعد إساءة للباحث ودليلا على فشله أو نرجسيته، ومن ثم يحكم على بحثه بالفشل وينوء بثقل نرجسيته، ولا يعود ذلك بالخير والفضل إليه بالرغم من وجود كثير من الحسنات في بحثه»[18]، فيحاول قدر الإمكان الابتعاد عن السرقات العلمية وطغيان الذاتية في بحثه العلمي، بل يعتمد على نفسه حتى يحصد ثمار مجهوده العملي الخاص.

يراعي الباحث في مرحلة التحرير قواعد اللغة، والوضوح وتسلسل الأفكار والفقرات وغيرها، فهو ملزم الكتابة« ... بأسلوب ذاتي، وتعبير شخصي، وذلك بعد استيعاب المادة المجموعة مع مراعاة قواعد وإجراءات صياغة البحث مثل: جمال الأسلوب، واستخدام اللغة العربية الفصحى، والدقة في التعبير، وتجنب التكرار المعيب، والتقليل من الاقتباس وتجنب الجدال العقيم الذي لا فائدة منه، مع محاولة إبراز شخصية الطالب واستقلاليته وقدرته على الكتابة، وتمكنه في موضوع ومادة البحث»[19]، وكلها أمور أساسية يجب تنبه الباحث إليها في البحث العلمي.

ثم إن فعل التحرير يتطلب الكثير من التركيز،« ويستدعي الأمر كتابة أكثر من مسودة للبحث مع إجراء التعديلات اللازمة في كل مرة، وإعادة تبيض ما تم تعديله حتى

نصل إلى المسودة النهائية المنقحة، وبالكتابة على الآلة الكاتبة حتى نصل للشكل النهائي للبحث»[20]، والذي يعيد الباحث الاطلاع عليه بعد كتابته على جهاز الإعلام الآلي مرة أخيرة، وذلك لمراجعة مطابقته مع الأصل والتأكد من سلامة ما ورد فيه.

سعت هذه الورقة البحثية إلى إبراز الجوانب المنهجية الشكلية والمضمون الداخلي للبحث العلمي الناجح، وحاولت الكشف عن أهم الأسباب والمقومات التي تجعل البحث العلمي ينجز على أكمل وجه، ويخرج للوجود بصورة مستحبة وموفقة، وذلك بفضل تكافئ واجتماع المعادلة الرياضية المكونة من البحث العلمي والأستاذ المشرف والطالب الباحث.

وأود أن أشير إلى نقطتين ختاميتين ولابد منهما، الأولى: وهي أن البحث العلمي ذو المضمون المتعمق والمكتوب بمنهجية سليمة يدخل الفرحة والسرور في قلب صاحبه، ويجعله يفتخر به ويعتز بنشره حاملا لاسمه. أما الثانية فهي أنه يجب على الباحث أن يعرف قدر مسؤوليته تجاه بحثه العلمي، ويتحمل كافة ما جاء فيه ولا ينتظر أن يشاركه الأستاذ المشرف أية مسؤولية لأن الأستاذ المشرف يعي واجباته تجاه الباحث ويفرق تماما بين كونه مشرفا وكونه حكما.

الهوامش والإحالات:

1/ نزار عبد المجيد البرواري وآخرون: البحث العلمي- مفاهيم، أساليب، تطبيقات-، الوراق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2010م، ص 33.

2/ عزت محمود فارس وخالد أحمد الصرايرة: البحث العلمي وفنية الكتابة العلمية، زمزم ناشرون وموزعون، عمان الأردن، ط1، 2011م، ص 11.

3/ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4/ نزار عبد المجيد البرواري وآخرون: البحث العلمي- مفاهيم، أساليب، تطبيقات-، ص 35.

5/ ينظر، عزت محمود فارس وخالد أحمد الصرايرة: البحث العلمي وفنية الكتابة العلمية، ص 158.

6/ ينظر، المرجع نفسه، ص 157.

7/ المرجع نفسه، ص 123.

8/ المرجع نفسه، ص 122.

9/ محمد الصاوي محمد مبارك: البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 1992م، ص 12.

10/ عزت محمود فارس وخالد أحمد الصرايرة: البحث العلمي وفنية الكتابة العلمية، ص 160.

11/ المرجع نفسه، ص 198.

12/ عبد الله محمد الشريف: مناهج البحث العلمي– دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، مكتبة ومطبعة الإشعاع، الإسكندرية مصر، ط1، 1996م، ص 42.

13/ محمد الصاوي محمد مبارك: البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، ص 53.

14/ عزت محمود فارس وخالد أحمد الصرايرة: البحث العلمي وفنية الكتابة العلمية، ص 141.

15/ المرجع نفسه، ص 198.

16/ نزار عبد المجيد البرواري وآخرون: البحث العلمي– مفاهيم، أساليب، تطبيقات–، ص 49.

17/ عبد الله محمد الشريف: مناهج البحث العلمي– دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، ص 44.

18/ عزت محمود فارس وخالد أحمد الصرايرة: البحث العلمي وفنية الكتابة العلمية، ص 16.

19/ نزار عبد الحميد البرواري وآخرون: البحث العلمي– مفاهيم، أساليب، تطبيقات–، ص 119.

20/ محمد الصاوي محمد مبارك: البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، ص 56.